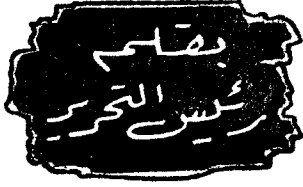


شهريات



أنتم على حق ... ولكن ...

هذا المقال المسيء والسيء من غير أن تحقق وتدقق في ما أورده من معلومات ...

ولا شك في ان المزالي ، حين يولي هذا الامر اهتمامه الكلي ، انما يصدر في ذلك عن الايمان بضرورة التضامن والتواصل بين المثقفين العرب ، ايمانا منه بوحدة الثقافة العربية والامة العربية .

ومع ذلك ... فليسمح لنا الزميل المزالي ان نعبّر عن المنا واستيائنا من مقال نشر في العدد نفسه من « الفكر » بعنوان « مقومات الشخصية التونسية » بقلم احمد خالد يتحدث فيه حديثا طويلا عما دعاه « الامة التونسية » .

يقول الكاتب : « واذا قلنا الشخصية التونسية ، فانا نعني انتسابنا الى امة تسمى الامة التونسية المعترزة بكيانها المستندة الى مقومات خاصة » .

ويقول : « ما أمكن للشعب التونسي أن يصبح امة على حدة الا لانه اثبت نفسه كمجموعة تاريخية من الناس تتوفر فيهم شروط خمسة : انهم يتكلمون لغة مشتركة هي اللغة العربية ولهم تاريخ مشترك وتراث نفسي مشترك ويعيشون على ارض واحدة ولهم مصالح اقتصادية مشتركة » .

اننا نلاحظ هنا ان الكاتب لم يسجل عروبة تونس الا في مضمار اللغة . اليس التاريخ المشترك والتراث المشترك عربيين ؟ والارض التونسية والمصالح الاقتصادية المشتركة ، أليست عربية هي كذلك ؟ واذن ، فما دامت هذه المقومات كلها عربية ، فلا شك في ان انتساب الشعب التونسي انما هو الى الشخصية الاوسع والاكثر تمثيلا ، وهي الامة العربية . وهذا هو المفهوم الذي تؤمن به الشعوب العربية كلها وتطمح الى تحقيقه وتعمل في هذا السبيل ، ولو كان بعض الحكام يناهضون هذا الطموح !

اننا لا ننكر « وجود ثقافة تونسية متميزة بشخصيتها في خصائصها ونوعيتها عن الثقافات العربية والاسلامية الاخرى ... » كما يقول الكاتب ، ولكن هذا « التميز » انما هو « في داخل » الاطار الكبير ، اطار وحدة الامة العربية ، تميز - في - الوحدة ، وليس خارجها ...

ان تونس « جزء » من الامة العربية التي هي « الكل » ، ولا يمكن للجزء ان يكون كلا ، الا اذا شاء ان يتنكر لهذا الكل ، كما هو شأن دعاة « الامة اللبنانية » الذين يريدون ان يجعلوا شخصية لبنان شخصية تامة

في عدد نيسان الماضي من الزميلة التونسية « الفكر » مقال افتتاحي بقلم مديرها المسؤول الصديق الاستاذ محمد مزالي، عنوانه « وظلم ذوي القربى ... » يناقش فيه « كتابات بعض المثقفين المشاركة » الذين ينسب كل واحد منهم الى قطره « رسالة تاريخية ويعتبره مؤهلا - دون سواه - فكريا وحضاريا لحل أزمة الفكر القومي واثارة سبيل البلدان العربية الاخرى، من دون ان يكلف نفسه مشقة التعرف الى الاقطار العربية الاخرى ، وخاصة في بلدان المغرب العربي الكبير التي ظلت في الماضي مهزومة الجانب بسبب عقدة التفوق لدى الكثير من الكتاب والدارسين في المشرق ... » .

وقد وجدت الاستاذ المزالي محقا في مناقشة عبد العزيز الدسوقي الذي يظهر نزعة شوفينية في حديثه عن مسؤولية مصر في حل أزمة الفكر القومي ... ولكن ما يقوله الكاتب التونسي هشام جعيط من ان « تجديد الفكر العربي لن يأتي من المشرق ، بل من هذا المغرب الممزق » ، لا يقل شوفينية وتحيزا ، وهو ما اشار اليه ضمنا المزالي نفسه حين قال : « ومع ذلك ، فنحن متمسكون بالتواضع العلمي ومؤمنون بأن شرف تجاوز أزمة الفكر العربي الاسلامي سيناله كل العرب الاصيلين ايا كان منبتهم .. » .

كما ان المزالي كان على حق في التعبير عن المهر ومرارته لما كتبه عبد الرحمن سلامة في عدد كانون الثاني من مجلة « الموقف الادبي » السورية عما يستفاد منه موت اللغة العربية في المغرب العربي ، وانتشار الشعوذة انتشارا غربيا تشجع عليه السلطات نفسها ، و « انتشار البغاء والتجارة بالجنس بشكل يفوق أوروبا نفسها » .

تقول ان مدير مجلة « الفكر » كان على حق في شجب هذه الكتابة ، لانها لا تستند الى أية مراجع او مصادر موثوق بها .

اننا نشاطر الاخوان التونسيين المهم لهذه التهجمات التي ليس من شأنها الا ان تضعف اواصر التضامن بين الشعوب العربية ، وتعطي « الانعزاليين » في المغرب سلاحا يستعملونه في الدعوة الى الحياد والانفصال عن سائر اقطار الوطن العربي .

وقد كنا نربا بالزميلة الدمشقية «الموقف الادبي» ، مجلة « اتحاد الكتاب العرب » في سورية ، ان تنشر

« المستقبل العربي »

تحت شعار « وعي الوحدة العربية - وحدة الوعي العربي » ، صدرت أخيرا في بيروت مجلة جديدة هامة يرأس تحريرها الكاتب القومي المعروف الأستاذ أنيس صايغ ويشرف عليها « مركز دراسات الوحدة العربية » الذي يضم مجلس أمنائه نخبة من المفكرين والوحدويين العرب .

وقد جاء في افتتاحية العدد الأول بأن المجلة « تؤمن بأن المستقبل للعرب ، وأن المستقبل في الوحدة ، وأن العرب هم الوحدة ، وأن العرب هم المستقبل » .

و « الآداب » التي يقود خطاها الهدف نفسه ، على الصعيد الأدبي ، ترحب بالزميلة « المستقبل العربي » وتتمنى لها الزواج الذي يستحقه نبل غايتها وجديتها وسيلتها لبلوغ هذه الغاية .

خصوصا وانها المرة الاولى التي يطرح هذا الموضوع بالذات ، ومن الزاوية التي ننطلق منها » .

انه يعترف هنا بأن الخطورة تأتي من طرح المسألة « للمرة الاولى » . ومع ذلك ، فما هي العدة التي اتخذها لتفصيل مبررات هذه التهمة ؟ انه يتابع قائلا :

« ولعلنا لا نخفي سرا ، اذا قلنا ، اننا منذ اكثر من عشر سنوات ، قلما وجدنا في مجمل نتاج الشعر الحر ، الذي ينشر في الدواوين أو الصحف والمجلات ، أي تنوع أو تقدم أو جديد ، سواء عند الرواد أو المخضمين أو الشباب ، ويمكن بكل سهولة ، ومن دون أدنى حرج ، أن تقطع مقاطع لشعراء مختلفين ، ومن مراحل شعرية مختلفة ، وتجري عليها عملية « مونتاج » بسيطة ، ليتبين لك انه لا فوارق تذكر بين مجمل ايقاعات هذه المقاطع أو حركاتها أو بناها ، فكان كل الشعراء الذين يعتمدون الشعر الحر اليوم باتسوا يكتبون قصيدة واحدة مع بعض التنوعات المختلفة . وهذه الناحية ، تطمس بوضوح الخصوصية والتميز ، وتحول الشعر الى فن مشاع مقتلع عن عمق التجارب الخاصة والمناخات الخاصة » .

هكذا يطلق الكاتب آراءه خبط عشواء : منذ عشر سنوات (لماذا عشر سنوات بالضبط ؟) لا يجد الكاتب (وهو لا يخفي سرا في ذلك !) أي جديد عند أي شاعر ينتمي الى أي جيل : كلهم يكتبون قصيدة واحدة ، محمود درويش يكتب مثل خليل حاوي ، وسعدي يوسف مثل احمد عبد المعطي حجازي ، ومحمد عفيفي مطر مثل امل دنقل ، ومحمد علي شمس الدين مثل

— التمة على الصفحة ٨ —

مستقلة عن شخصية الامة العربية ككل . وكذلك يفعل دعاة الفرعونية في مصر . . ولكننا كلها دعوات باطلة ، لانها انما هي تنكّر للواقع الحالي . الواقع « العروبي » الذي لا يستطيع أن يفرّق بين هموم الشعوب العربية ومطامحها ومصالحها ، وهي تنكّر للماضي والتراث والتاريخ ، وتنكّر للمستقبل الذي لا يمكن أن تصنعه الا « الارادة العربية المشتركة » وهي ارادة الوحدة العربية .

نموذج للنقد اللامسؤول

لمجلة « المستقبل » اللبنانية ، التي تصدر بالعربية في باريس ، مراسل في بيروت هو : بول شاوول . ومن يتابع رسائل هذا الكاتب يجد انه قد نصب نفسه ، منذ فترة ، حكما في شؤون الثقافة العربية والمثقفين العرب . . .

ولكن المشكلة - والمصيبة معا - ان هذا القاضي يصدر احكامه بلا حيثيات ولا مبررات ، مما يدل على انعدام حسن المسؤولية لديه !

وساختر هنا نموذجين من هذه « الاحكام » التي يطلع بها علينا أسبوعيا .

النموذج الاول هو الذي كتبه في العدد ٥١ من « المستقبل » بتاريخ السبت ١١ شباط الماضي تحت عنوان « احتضار الشعر الحر » ، وجاء فيه قوله :

« الى أي مدى ما زال الشعر الحر ، أو ما يسمى نظام التفعيلة ، قادرا على استيعاب التجارب الشعرية المعاصرة ؟ (. . .) هل استنفد ايقاعاته بحيث صار اعتماده ضربا من التكرار والاجترار ؟ هذه التساؤلات أصبحت ملحة وتتطلب في الرد عليها تفهما جذريا وجديدا لحركة الشعر الحديث في علاقتها بمختلف الظروف التي تتحرك فيها ، منذ جبران وحتى أيامنا هذه ، وهذا التفهم لا بد وأن يقترن بجراحة تخترق مجمل أشكال الجمود والردة أو عمليات التشبث الاعمى بالتراث والتفوق في بعض اطره الجاهزة . . . » .

ولا شك في ان طرح الموضوع بهذه الصيغة الاستهامية ، معناه التشكيك في قدرة الشعر الحر على استيعاب التجارب الشعرية المعاصرة ان لم يكن نفي هذه القدرة أصلا . . ومع ذلك فما معنى أن يكون « اعتماده (أي الشعر الحر) ضربا من التكرار والاجترار ؟ » اعتماده من قبل من ؟ وكيف يكون هذا الاعتماد بذاته تكرارا واجترارا ؟

ومع ذلك ، فيبدو ان الكاتب احسن ، وهو يطلق ذلك الحكم غير الموضوعي ، بأنه يقول شيئا خطيرا ، فاذا به يردف قائلا :

« ولعل خطورة هذا الموضوع تكمن أولا وأخيرا في مواجهة هذه المشكلة وبالتالي في امكانية طرحها طرعا موضوعيا يتعد عن الاساليب الذاتية أو الديماغوجية ،

الايخيرة أخذت الفصحى تهبّ من غفوتها وشرعت تتطور . وأخذت أنماط الكتابة تتغير عما الفه القدماء . وانطلق النثر العربي انطلاقة كبرى . والذي يقرأ كتب طه حسين مثلا يرى الفرق الشاسع بين أسلوبه وأسلوب الكتبة المحافظين القدماء . ومثل طه حسين عشرات الكتاب الذين سلكوا سبلا قديمة جديدة في الاسلوب الكتابي في كل الاقطار العربية ، وكان للبنان ورجاله في القرنين التاسع عشر والعشرين الفضل الاكبر في شق هذا الطريق الجديد للناشئة الجديدة وفسي تعميمه في دنيا العرب كلها عبر الصحافة والمدارس والجامعات . واني أدعو الاخ الكريم الى ان يقرأ ما كتبه شارل مالك في كتابه « لبنان في ذاته » ليرى اسهام لبنان في النهضة العربية الحديثة صحافة وطباعة وترجمة وتعلّما وشعرا وادبا .

وفي الختام ان الامر في جوهره يرجع الى الامة العربية وليس اللغة ، وان الذي يقرر مقدرة اللغة هو اهله من العلماء والمفكرين . ولبنان على تقدمه ورفيقه هو جزء صغير من العالم العربي ، والعدول عن اللغة التي تربط بين اجزاء هذا العالم المترابط شئنا ام ابينا الى عامية ضيقة هو حجر عثرة في سبيل تقدم لبنان نفسه وفي سبيل المحافظة على اثره في قيادة الفكر في العالم العربي .

ولبنان فوق ذلك هو كما قال بعضهم الرئة التي يتنفس بها العرب في المحنة التاريخية التي يمرون بها اليوم ، ولذلك وجب عليه المحافظة على دوره الثقافي التقليدي ولا يتم الا بمحافظته على الفصحى التي سبق وعززها ورفع بناءها في العصور الاخيرة كلها . كان زعماء النهضة الفكرية الصحيحة والحركة القومية العربية في الغالب من لبنان منذ اثارها ابراهيم اليازجي بقوله :

« تنبؤوا واستفيقوا أيها العرب » .

وستظل الزعامة الفكرية فيه ويظل هو الرائد الاكبر في ادبه وصحافته وفي تجديد اللغة وتطورها وفي النضال الحقيقي في سبيل الحفاظ عليها . ولست اكنتم ان مثل هذه الحركات في الدعوة الى العامية اللبنانية او الحرف اللاتيني تسيء الى لبنان اكثر مما تنفعه ولا سيما انها لا تصل البلاد العربية الا مشوهة عن الغاية في نفوس أصحابها المسؤولين .

أوردتها سعد وسعد مشتمل

ما هكذا يا سعد تورد الابل (X)

(X) راجع : التطور النحوي للغة انعرية ، للاستاذ برجستراسر

(مصر ، ١٩٢٩) .

(X) كلمة القاها الدكتور جبرائيل جبور خلال مناظرة جمعت

وسعيد عقل في الرابية في ٢ نيسان ١٩٧٨ .

تام عن اية فعالية حقيقية في الواقع الثقافي العربي الذي تجاوزها ، هو العمد الخاص « بالادب المغربي الحديث » ...

هكذا يرقى الكاتب منير القاضي ، فيصدر حكمه من غير تقديم اية بينة على انحسار دور « الآداب » (منذ مدة طويلة .. لماذا لم يعين : ١٠ سنوات بالضبط مثلا ؟) انحسارا « شبه » تام (نحمد الله انه لم يكن انحسارا تاما !) عن اية فاعلية حقيقية في الواقع الثقافي العربي ...

اما كيف يكون قد تم هذا الانحسار ، وهل سبق للكاتب ان كتب اية كلمة يتحدث فيها عن دور « الآداب » قبل هذا الانحسار ، حتى يحق له ان يتحدث عما يزعم انه واقعها الآن ، وما هي المجالات العربية الاخرى التي تولت هذا الدور بعد « الآداب » ، واستطاعت ان تستمر وتصمد ، واستقطبت الكتاب فنشرت أبرز انتاجهم ... اما هذا كله وسواه ، فليس من مهمة الكاتب القاضي الحكم ان يوضحه أو يفصله .. حسبه ان يطلق تهمة وافتراءاته ، لانه من شدة ثقته بنفسه بحيث يعتقد ان القارئ اكثر عجلة ولا مبالاة من ان يحقق أو يدقق أو يشكك في مثل هذه الاحكام !

انكون بحاجة الى دليل آخر على ما يعانيه بعض النقد عندنا من الافتقار الى حسن المسؤولية ؟

سهيل ادريس

شهريات

- تمة المنشور على الصفحة ٣ -

الياس لحد ، وشوقي بزيغ مثل هؤلاء جميعا ... وحين يستعرض الكاتب في نفسه هذا الموكب يجد ، مع ذلك ان هذا الحكم خطير ، فيستدرك - متناقضا مع كلامه الاول - بقوله « مع بعض التنويعات المختلفة » ... ليست مواجهة القضية بهذه السذاجة وهذا التبسيط ضربا من المجانية في اصدار الاحكام التي لا تستند الا الى النزوات والشطحات ، ولا تقدم أي دليل على صحة المقولات ؟ اهكذا يمارس الناقد مهمته . ويؤرخ الراصد لحياتنا الادبية ؟

الم يشعر الكاتب بأي تهيب من ان يعلن هكذا . بجرّة قلم ، احتضار تجربة لا تزال ماضية في مسيرتها الصاعدة ، ولعلها ان تكون اهم تجربة في تاريخ الادب العربي الحديث ؟

ولناخذ الآن النموذج الثاني من « دراسات » بول شاوول :

لقد كتب في العدد ٦٣ بتاريخ ٦ ايار الماضي من مجلة « المستقبل » :

« لعل اهم ما قدمته مجلة « الآداب » اللبنانية ، منذ مدة طويلة ، وبعدها انحسر دورها انحسارا شبه